

المحاضرة 03: مناهج البحث العلمي

تمثل مناهج البحث العلمي الأساس الذي يُبنى عليه أي دراسة علمية منظمة. فهي الأداة التي تساعد الباحث على الوصول إلى نتائج دقيقة ومنهجية من خلال خطوات مدروسة وأساليب محددة. تختلف المناهج البحثية باختلاف طبيعة المشكلات المدروسة والأهداف المرجوة، مما يجعلها عاملاً حاسماً في نجاح البحث العلمي وتحقيق أهدافه.

في هذه المحاضرة، سنتناول أبرز مناهج البحث العلمي، ومرتكزات كل منها، وكيفية اختيار المنهج الأنسب بما يتلاءم مع موضوع الدراسة. الهدف هو تعزيز فهمنا لأهمية المنهجية في البحث وإبراز دورها في إنتاج معرفة علمية موثوقة تخدم تطور المجتمع والإنسانية.

أولاً: مفهوم المنهج

يعرّف المنهج على أنه مجموع القواعد العامة التي يستخدمها الباحث للوصول إلى الحقيقة. وقد تكون هذه الحقيقة جديدة أو أن الباحث يرغب في إيصالها للآخرين بغية تعريفهم بها.

ثانياً: أنواع المناهج

هناك العديد من التصنيفات للمناهج العلمية، نتطرق إلى أهمها:

1- المنهج الوصفي:

يعمل على دراسة وتحليل الظاهرة وتحديد مكوّناتها وخصائصها وظروف نشأتها، أي يصف الظاهرة من حيث طريقة تكوينها وبنائها وعملها، كما يعمل على وصف طبيعة العلاقات المكوّنة لها أو تلك التي تربطها بظواهر أخرى، حيث أنه يدرس الظاهرة وهي في حالة سكون دون تغير وتطوّر وتفسير الوضع القائم لها وتحليل أبعادها وعلاقاتها ومكوناتها.

مرتكزات المنهج الوصفي (الأسس):

يرتكز منهج البحث الوصفي على مجموعة من الأسس الآتية:

– إمكانية الاستفادة والاستعانة بمختلف الأدوات للحصول على معلومات دقيقة، مثل الملاحظة.

- إن غرض المنهج الوصفي هو الوصف والتحديد الكمي والكمي للظاهرة.
- يقوم هذا المنهج على اختيار عينات ممثلة لمجتمع البحث للوصول إلى النتائج توفيراً للجهد والوقت وغيرها؛
- يستخدم الباحث المنهج الوصفي التجريدي ليتمكن من تمييز سمات الظاهرة المبحوثة وخصائصها.
- ليصل الباحث الوصفي إلى استخلاص أحكام، لا بد من تصنيف الأشياء أو الوقائع أو الظواهر وفق معيار محدد.

2- المنهج التاريخي:

المنهج التاريخي هو منهج يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث ويحلّلها ويفسّرهما على أسس علمية صارمة، بقصد الوصول إلى تعميمات تساعد على فهم الماضي والحاضر، والتنبؤ بالمستقبل.

المنهج التاريخي لا يقتصر استخدامه على البحوث والدراسات في علم التاريخ فقط، إذ أنه يمكن أن يستخدم في العلوم المختلفة في دراسة الظواهر: نشأتها وتطوُّرها عبر الزمن، أو في دراسة أحداث ماضية، أو في إحياء تراث حضاري أو فكري، حيث يستعمل في العلوم الاقتصادية، الإنسانية المختلفة، وأي علم وأي ميدان من العلوم مهما تنوعت.

الاعتبارات المنهجية للمنهج التاريخي:

- كل العلوم في دراستها قد تستعين بالمنهج التاريخي إلا أنه هناك جملة من الاعتبارات المنهجية التي لا بد من أخذها في الحسبان عند القيام بالتحليل التاريخي للظواهر والتي تتمثل في التالي:
- عند دراسة ظاهرة معينة وبمجرد رجوع الباحث إلى الوثائق الرسمية كالمخطوطات والسجلات والوثائق القديمة وإثبات أصالتها وصحتها ومحاولة مقارنة النص الوارد في المرجع الذي يعتمد عليه بالنصوص الواردة في المراجع الأخرى، وكذا محاولة الباحث التحقق من أمانة مؤلف النص. هنا يصبح الباحث أمام تطبيق المنهج التاريخي. وهذا نجده خاصة في علم التاريخ.
- هناك بعض الظواهر عند دراستها في العلوم الأخرى المنضوية تحت العلوم الاجتماعية، يقتصر اعتمادها على المنهج التاريخي على وصف وسرد الأحداث الماضية بطريقة استقرائية يغلب عليها التحليل والتركيب.

3- المنهج التجريبي:

البحث التجريبي يركز على التجربة والاختبار الميداني مسترشداً بوسيلة الملاحظة ومستندا على استعمال الأدوات والأجهزة والطرائق العلمية الحديثة بهدف إبراز أي علاقة سببية بين واحد أو أكثر من المتغيرات في إطار محكم الضبط، والتنظيم للأدلة والبراهين.

فالباحث من خلال استخدامه للمنهج التجريبي لا يتحدد بحدود الواقع، وإنما يحاول إعادة بنائه في موقف تجريبي، يدخل عليه تغيير أساسي بشكل متعمّد، ويتضمن التغيير ضبط جميع المتغيرات التي تؤثر في موضوع الدراسة، باستثناء متغير واحد محدد تجرى دراسة أثره في هذه الظروف الجديدة. وهذا التغيير والضبط في ظروف الواقع تسمى عادة "بالتجربة". فالبحث التجريبي يتميز عن غيره من أنواع البحوث في أن الباحث يقوم بدور فاعل في الموقف البحثي، وأما في البحوث غير التجريبية فإن الباحث يجمع بياناته بالملاحظة والقياس للمواقف المتوفرة دون ادخال أي تغيير عليها.

4- منهج دراسة الحالة:

منهج دراسة الحالة هو منهج أُختلف في تصنيفه فهناك من الباحثين من صنفه كأحد تصنيفات المنهج الوصفي في البحث العلمي، ومن صنفه كمنهج منفصل.

يعرف منهج دراسة الحالة بأنه المنهج الذي يهتم بدراسة جميع الجوانب المتعلقة بشيء واحد أو موقف واحد، مثل دراسة حالة فرد ما أو جماعة ما أو مؤسسة ما.

فمنهج دراسة الحالة هو الذي يهتم بدراسة الظواهر والحالات الفردية والجماعية، ويرتكز على تشخيصها من خلال المعلومات التي تم جمعها في الحصول على الحقائق المسببة للحالة ويصل الى نتائج ومعالجات من خلال دراسته المتكاملة، المعلومات التي يتم جمعها في هذا المنهج تعتمد أيضا على ما تعتمد منه المناهج الأخرى من وسائل لجمع المعلومات كالملاحظة المباشرة والمقابلة الشخصية والاستبيان وتحليل المحتوى والمنهج الاحصائي.

مركزات استخدام منهج دراسة الحالة:

استنادا على ما تقدم يمكننا أن نركز على أربع جوانب في دراسة الحالة:

- تعد دراسة الحالة واحدة من الدراسات والمناهج الوصفية.
- تستخدم لاختبار فرضية أو فرضيات.

• من الضروري التأكيد على أن الحالة المدروسة هي مشابحة للحالات الأخرى التي نريد تعميم نتائجها عليها.

• التأكيد على الموضوعية والابتعاد عن الذاتية والانحياز في اختيار الحالة إلا إذا كانت مقصودة وكذلك الموضوعية في جمع البيانات والمعلومات.

5- المنهج الاستقرائي:

كلمة استقراء هي ترجمة للكلمة اليونانية Enay Wyn وتعني "يقود"، ويقصد بها حركة العقل للقيام بعملية تؤدي إلى الوصول إلى قانون أو مبدأ أو قضية كلية تحكم الجزئيات التي تخضع لإدراكنا الحسي.

والاستقراء هي عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية.

يعتمد هذا المنهج على الملاحظة ثم التجربة، حيث ينتقل فيه الباحث من الخاص إلى العام.

التمييز بين الاستنباط والاستقراء:

الاستقراء والاستنباط عمليتان متعاكستان، ويكمن الاختلاف بين المنهجين في أن الفرق بين الاستقراء والاستنباط في البحث العلمي: أن الاستقراء ينتقل من الخاص إلى العام ومن الجزء إلى الكل، بحيث تعمم نتائج الجزء على الكل، وهذا ما يعاكس الاستنباط الذي ينتقل من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء. لذا فإن الجمع بين الأسلوبين من شأنه أن يؤدي إلى نتائج أفضل، مثال:

استنباط:

الجزائر تقع في افريقيا = ---- (الكل)

كل إنسان مفكر = ---- (الكل)

قلمة تقع في الجزائر = ---- (الجزء)

أحمد إنسان = ---- (الجزء)

قلمة تقع في افريقيا = ---- نتيجة

أحمد مفكر = ---- نتيجة

استقراء:

قلمة تقع في الجزائر = ---- (الجزء)

أحمد إنسان = ---- (الجزء)

الجزائر تقع في افريقيا = ---- (الكل)

كل إنسان مفكر = ---- (الكل)

قلمة تقع في افريقيا = ---- نتيجة

أحمد مفكر = ---- نتيجة

6- المنهج المقارن:

يقوم المنهج المقارن على اجراء مقارنة بين ظاهرتين أو حالتين بغرض كشف أوجه الاختلاف والتشابه، أو تحديد دور وأثر ظاهرة أو متغير معين وأسبابها ومكوناتها، كأن يتم اجراء مقارنة بين عدة دول أو مناطق تظهر اختلافاً في صناعة أو زراعة معينة، بغية كشف أسباب وظروف ظهور وتطور وازدهار هذه الصناعة أو الزراعة. ولهذا المنهج أهمية كبيرة خاصة في ميدان العلوم الاجتماعية والانسانية بصفة عامة، لقدرته على كشف العلاقات وطرق التأثير المختلفة بين الظواهر.

تطبيقات المنهج المقارن:

- 1- عندما يهدف البحث الى كشف اوجه الاختلاف والتشابه بين ظاهرتين، كالمقارنة بين نظامين اقتصاديين.
- 2- يمكن تطبيق المنهج المقارن عند تحديد قوة وطبيعة الاثر لمتغير معين يتواجد في حالة معينة وغائب في حالة اخرى مثلاً: اجراء المقارنة بين مؤسستين احدهما تطبق نمط حديث في التسيير والاخرى لا تطبقه.
- 3- كما يمكن تطبيق المنهج المقارن عندما يكون المتغير موجود خلال فترة زمنية معينة وغير موجود في فترة اخرى، حيث يتم المقارنة بين نتائج ظهور وغياب هذا المتغير، والفرق بينهما يعبر عن اثر غياب او حضور هذا المتغير على اعتبار ان العوامل الأخرى ثابتة. مثل مقارنة مبيعات مؤسسة بين فترتين احدها تطبق فيها سياسة تسويقية معينة وفي الاخرى لا تطبقها.
- 4- كما ان استخدام عمليات المقارنة عادة ما تتم في ثنائيا تطبيق مناهج مختلفة كالمنهج التجريبي عندما يضطر الباحث الى المقارنة بين مجموعتين مختلفتين او ظاهرتين او متغيرتين في ظروف مختلفة او متشابهة.

المراجع المعتمدة:

- ✚ بوحوش عمار وآخرون، منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، ألمانيا، 2019.
- ✚ أحمد حسين الرفاعي، مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، دار وائل للنشر، الأردن، 2009، ط 6.
- ✚ صلاح الدين شروخ، منهجية البحث العلمي للجامعيين، دار العلوم للنشر، الجزائر، 2003.
- ✚ عبد الله قلش، محاضرات في منهجية البحث العلمي، جامعة حسينة بن بوعلي الشلف، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 2016-2017.
- ✚ علي سلوم جواد ومازن حسن جاسم، البحث العلمي: أساسيات ومناهج، اختبار الفرضيات، تصميم التجارب، مكتبة المجتمع العربي للنشر، الأردن، 2014.